وزارة التعلم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط / كلية القانون

المرحلة الثانية

م. م. حيدر عبدالله جبر

الجرائم البيئية لنظام البعث في العراق

تعد المشكلات البيئية التي واجهت العراق بسبب النظام البعثي وسياسته القمعية على العراق من الاسباب التي ادت الى ارتفاع معدلات التلوث وما صاحبه من اختلال كبير في التوازن البيئي بعد أن كان العراق يسمى في ماضيه (أرض السواد) لشدة خصوبة أرضه، إذ يتدفق رافداه بلا انتهاء، ليحولاه إلى جنة خضراء، اصبحت أرض الرافدين في عهد نظام البعث تعاني من انحسار الاراضي الخضراء وقلة الرقعة الزراعية جزاء الحروب العبثية التي أتت على الشجر كما أتت على البشر، فضلا عن تتابع سياساته التي أدت الى وقوع أربع كوارث كبرى جعلت البيئة العراقية واحدة من أكثر بيئات العالم خطورة وخرابا وأذى للإنسان والكائنات الحية في المسطحات المائية والغابات والاراضي الزراعية هي:

١- التلوث الحربي والاشعاعي وانفجار الالغام.

٢ - تدمير المدن والقرى سياسة الارض المحروقة.

٣ - تجفيف الاهوار.

٤ - تجريف بساتين النخيل والاشجار والمزروعات.

التلوث الحربي والاشعاعي وانفجار الالغام.

تم استعمال الاسلحة المحرمة في اماكن مختلفة من العراق ومن بين أهم المدن التي أجرم فيها النظام البعثي باستعمال هذه الاسلحة مدينة (البصرة) في جنوب العراق ومدينة (حلبجة)في شماله، وهما تعدان من أكثر المدن تعرضا للهجوم بالأسلحة المدمرة مما أدى الى تلوث النظام البيئي لتلك المناطق وتخريبها.

أولا: البصرة

شهدت محافظة البصرة التي كانت مقصدا للسائحين ورجال الاعمال والتجار من خارج العراق اكبر عملية للإبادة البيئية والبشرية نتيجة امرين رئيسين:

١-استعمال الاسلحة المحرمة دوليا كغاز الخردل والقنابل العنقودية فضال عن زرع الالغام بطريقة عشوائية قرب المناطق السكنية والاراضي الزراعية التي ما تزال اثارها الى اليوم شاخصة مما ينتج عنها من انفجارات يذهب ضحيتها الابرياء الساكنون والعاملون في تلك الاماكن.

٢- استعمال قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية في حرب الخليج الثانية ذخائر اليورانيوم المنضب في مناطق مأهولة بالسكان ، في جنوب العراق عامة والبصرة خاصة نتيجة السياسات الاجرامية للنظام البعثي.

استعمال الاسلحة المحرمة دوليا ومخاطر الالغام

وفقا لمنظمة الامم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) وبرنامج الامم المتحدة الانمائي، فإن العراقيين يعيشون وسط أكبر تجمعات للألغام الارضية والذخائر غير المتفجرة وغيرها من المتفجرات من مخلفات الحرب على كوكب الارض.

وأشار تقرير المنظمة الدولية للمعوقين لسنة ٢٠٠٦ إلى أن ما لا يقل عن (٥٥) مليون قنبلة عنقودية قد أسقطت خلال الحروب الاخيرة في العراق، الامر الذي يجعله أكثر البلدان تلوثا في العالم بهذه المخلفات القاتلة. وعلى الرغم من مرور عشرات السنين على انتهاء الحرب العراقية الايرانية (١٩٨٠ - ١٩٨٨) ، فإن أراضي العراق ما تزال مثقلة بمخلفات الحروب لاسيما المحافظات المحاذية لإيران، في جنوب العراق وشرقه حيث تنتشر الالغام والمقذوفات والمخلفات الحربية التي ارتبطت بتلك الحرب، وقد أكد وزير البيئة العراقي ان العراق مصنف على أنه واحد من أكثر الدول في العالم تلوثا بالألغام بسبب المساحات الهائلة من الالغام الناتجة عن الحرب العراقية الايرانية وما تالها من حروب، وان الاراضي الملغمة والملوثة بالعبوات الناسفة تصل إلى أكثر من ستة الاف كيلو متر، ومما يزيد الامر سوءا أن نظام البعث قد خزن اسلحته في مناطق صحراوية يصعب الوصول لها، ولا يمتلك خرائط للاستدلال عليها، وتحتوي البيئة العراقية على ملايين الألغام والقطع الحربية غير المنفلقة من المخلفات الحربية في مختلف محافظات البالد، الامر الذي يشكل تهديدا جديا على حياة المواطنين كما تشير بعض الاحصاءات إلى وقوع عشرات الالاف من العراقيين بين قتيل أو معاق نتيجة تلك المخلفات، وكانت دائرة شؤون الالغام العراقية أعلنت أن حجم التلوث الكلي في العراق يبلغ نحو(٥٩٩٤)كم مربعا، تم تنظيف نحو (٥٠ %)

ولأطفال العراق حصتهم من هذا التلوث فقد صرحت منظمة اليونيسف في العراق بانه في عام ٢٠٢١م على سبيل المثال ال الحصر ، قتل (١٢٥) طفالا أو تعرضوا للإعاقة نتيجة للمخلفات الحربية المتفجرة، والذخائر غير المنفجرة، إذ قتل من بينهم (٥٢) طفلا ، وتعرض الباقون للإعاقة ، وبعض الاطفال لاسيما في القرى او البدو الرحل يعدون بعض المخلفات الحرفية أجساما غير مؤذية يمكن اللهو بها، فيقعون ضحيتها، إذ اشارت احصاءات عام ٢٠٠٦ إلى ان عدد الضحايا من دون سن الثامنة عشرة بلغ(٥٦٥) ضحية لذلك العام.

وما تزال محافظة البصرة الاكثر تلوثا بالألغام والمقذوفات الحربية كونها محافظة حدودية وساحة قتال لكل معارك النظام البعثي ، إذ تعد أكثر محافظة في العالم تعرضت لخطر المخلفات الحربية نتيجة الحروب التي خاضها العراق منذ حرب إيران ولغاية ٢٠٠٣ ، وأن حجم التلوث بالمقذوفات في البصرة يبلغ بحدود (١٢٥٠) كم مربع، والألغام (٩٢٥)كم مربع، ونحو (٩٥%)من حقول الألغام محددة، وقدرت الأمم المتحدة عدد المقذوفات غير المنفلقة في العراق بـ (٥٠) مليونا، وأن (١٢٠٠) كيلومتر من مساحة الحدود العراقية الايرانية ملوثة بالألغام والقنابل.

وتشير التقديرات الصادرة عن الدراسة الدولية التي أجريت بين عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٦ تحت عنوان مسح أثر الألغام الأرضية في العراق الى ان (١٧٣٠)كيلومتر مربعا من الاراضي العراقية ملوثة بشكل كبير، وتشمل هذه المساحة (١٣) محافظة - أي ما يعادل نحو واحد ونصف

ضعف مساحة مدينة بغداد، بينما تصل مساحة الاراضي الملوثة إلى (٦مليون)كم٢ ، ونتيجة لذلك أصبح الخطر يحدق بسلامة وسبل عيش اكثر من(١,٦) مليون عراقي.

وفضلا عن خصوصية البصرة في هذه الاثار المدمرة للبيئة والسكان فإن حقول الألغام قد امتدت مسافة تقدر بـ(١٢٠٠)كم من أصل(١٣٧٠) كم تشكل الحدود بين العراق وايران، وغالبا ما يكون ضحايا المخلفات الذين يقدر عددهم ب (١٣٤٣٦) مواطنا بين متوف ومصاب من رعاة الاغنام أو المزارعين او العمال فضلا عن العديد من الصيادين الذين ذهبوا ضحايا الالغام لاسيما في المناطق الواقعة ضمن الشريط الحدودي مع ايران كالمنذرية والعظيم و حمرين وخانقين، اما في بادية السماوة فان الضحايا غالبا ما يكونون من الصيادين ومربي الطيور والباحثين عن الكمأ ، والكثير من المناطق التي تحيطها حقول الألغام هي ذات طبيعة جبلية صخرية غنية بالمعادن والخامات الكلسية الداخلة في الصناعات الانشائية المختلفة، وبالتالي فإن وجود الألغام يعرقل بشدة عمليات التعدين واستغلال الموارد المعدنية، ويصنف التلوث القائم بالمخلفات الحربية إلى خمسة أقسام وهي: حقول الألغام وتشغل مساحة(١٠٢٨) كم٢ ثم الذخائر العنقودية على مساحة (١١١) كم٢ والمخلفات الحربية على مساحة (٣٤٣) كم٢ وأخيرا العبوات الناسفة على مساحة (٥٩٦)كم٢

التلوث بالمواد المشعة

تجدر الاشارة إلى ان تلوث المناطق بالمواد المشعة من بقايا اليورانيوم المنضب قد شملت مدن سفوان ، والزبير، وغرب البصرة) كما بينته دراسات لتقييم المخاطر الصحية للمناطق المكتظة بالسكان التي تبلغ مساحتها نحو (١٢٠٠)كم٢ ، اذ تعرضت لجرعات إشعاعية عالية بسبب تلوث اليورانيوم المنضب، وقد أوضحت نتائج هذه الدراسات أن أهم مصدر للتعرض الاشعاعي في هذه المناطق هو استنشاق هواء اليورانيوم المنضب وأكاسيده.

ان من مصادر التعرض الاخرى للإشعاعات التعرض لشظايا الدروع المدمرة المتأينة ونويدات سلسلة انحلال اليورانيوم المنبعثة منها مثل الثوريوم، والراديوم وغاز الرادون وكذلك من التربة الملوثة المتبقية بالقرب من الاهداف المدمرة بهذه الاسلحة، إذ إنها بقيت في مناطق البصرة وما حولها مدة طويلة، ثم بدأت حملة إخلائها وتجميعها في مناطق قريبة سميت بمقبرة الدبابات.

و يمثل استخدام الذخيرة التي تحتوي على اليورانيوم المنضب تهديدا كيميائيا كبيرا من الممكن أن تلوث البيئة بالمواد الخطرة ، فزادت العواقل وتراكيز الملوثات في مصب شط العرب والمياه المحيطة به ، فضلا عن تلوث المياه الجوفية مما ازد في تلوث مياه الابار المستخدمة في سقي جميع المحاصيل الزراعية، وقد أكد خبراء البيئة والصحة أن "هناك أكثر من اثني عشر موقعا ملوثا في محافظة البصرة بمادة الكادميوم وملوثات بيئية أخرى مختلفة، وتلوث بيئة المحاصيل الزراعية بسبب السقي بالمياه الملوثة ولاسيما في قضاء الزبير. وبذلك يلاحظ ان هذه الاسلحة والذخائر الملوثة باليورانيوم تركت أثارا كبيرا على صحة المواطنين في المحافظة الجنوبية.